مجلة دراسات في سيكولوجية الانحراف
مجلة دولية نصف سنوية : ISSN :2602- 554X EISSN :2773-2568
المجلد : 07 العدد : 01 السنة : 2022 ص- ص : 272 – 289

المراهق: بين وطأة المشكلات الأسرية ومأزق أزمة الهوية

Adolescent: Between the impact of family problems and the predicament of the identity crisis

هناء بوحارة *
جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس
Hana_bouhara@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2021/9/30 تاريخ القبول :31 /2022/01

ملخص:

تعد أزمة الهوية لدى المراهق من الأحداث البارزة في مرحلة المراهقة، والتي غالبا ما يساهم في ظهورها جملة من العوامل النفسية، الجسمية، الاجتماعية والأسرية هذه الأخيرة بما تحمله من صراعات، أزمات وضغوط نفسية أسرية قد تثقل البناء النفسي للمراهق مما تزيده تأزما. ولعل أن آثار هذه المشكلات الأسرية تأخذ أشكالا مختلفة. فقد تكون على شكل انحراف، جنوح أو فقدان الثقة بالنفس لدى المراهق، زيادة على عدم تعرفه وإدراكه لذاته. هنا تكون الأسرة فاقدة لدورها، الذي يفترض فيه تدعيمه ومساندته من طرفها لتكوين هويته المميزة والمتفردة. فالهوية الناضجة هي التي لديها المقدرة على تجاوز المشكلات، وتجاوز شروط الخبرة السلبية، وهي القادرة على تحقيق الانسجام مع الأنظمة المعرفية والثقافية المعطاة وتحقيق التكامل بين التجارب الجديدة والقبلية. وما الإحساس بالهوية لدى المراهق إلا مركب من مشاعر عديدة ومتنوعة، وأن أزمة الهوية تولد تحت تأثير عملية كبت وضغط أو توتر تنال جانبا أو أكثر من هذه المشاعر.

الكلمات المفتاحية: مرحلة المراهقة ؛ المشكلات الأسرية ؛ الهوية ؛ أزمة الهوية

Abstract:

The identity crisis of adolescents is a prominent event in adolescence, which often contributes to the emergence of a number of psychological, physical, social and family factors, with their struggles, crises and family psychological pressures that may burden the psychological construction of the adolescent, which exacerbates it. Perhaps the effects of these family problems take different forms. They may be in the form of delinquency, delinquency or loss of self-confidence in the adolescent, as well as lack of knowledge and self-awareness. Here, the family is losing its role, which is supposed to be strengthened and supported by it to create its unique and unique identity. It is mature identity that has the ability to overcome problems, to overcome the conditions of negative experience, and to be able to harmonize with the knowledge and cultural systems given and to integrate new and tribal experiences. A adolescent's sense of identity is compounded by many and varied feelings, and the identity crisis is born under the influence of a process of suppression, pressure or tension that affects one or more of these feelings.

Keywords : Adolescence ؛ Family Problems ؛ Identity؛Identity Crisis

* المؤلف المرسل .

- مقدمة:

تمثل الأسرة الرحم الاجتماعي الأول الذي يحتضن الفرد، إضافة إلى أنها صاحبة الدور الرئيس في عملية التنشئة الاجتماعية المبكرة وما تتركه من بصمات واضحة على شخصية الأبناء. فالطفل والمراهق هما نتاج هذه الأسرة ومسؤوليتها الكبيرة بدءا بتوفير المسكن وليس انتهاءا التعليم فقط، فالمراهق يحتاج الأسرة لا لتؤمن له الحاجات الفيسيولوجية فحسب، بل يحتاج لأسرة تؤمن له حاجاته النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية من خلال التواصل الإنساني معهم وليس من خلال التعامل القائم على الشتم والتحقير والضرب والإهمال والعزلة الذي يفقد الأسرة أهميتها باعتبارها مكانا للحب والسلام والدعم العاطفي، فتكون مصدرا للعديد من المشاكل التي يتعرض لها المراهقون، حيث أن الأسرة بهذه الحالة يمكن أن تكون أكثر خطورة على الأطفال والمراهقين من أي مكان آخر(كاتبي، 2012).

ولذلك كان لزاما على الأسرة أن تحوي المراهق اعتبارا من أن مرحلة المراهقة تمثل فترة الأزمات والتوترات النفسية، والصعوبات المترتبة على التغيرات التي تلي عملية البلوغ الجنسي، ويصعب تحديد الدور الذي يؤديه الفرد ومعرفة الهوية الجنسية وتقبلها وعدم رفضها. وكذلك يصعب تقبل مفهوم الذات والتخلي على المفهوم القديم، مما يجعل هذه الفترة من العمر تمثل أخطر الفترات، ولذلك أطلق عليها علماء النفس "أزمة المراهقة" أو "أزمة الهوية". إذ في تفسير هذه الأزمة يجب أن نبحث عن الظروف الاجتماعية والأسرية التي تحيط بالمراهق، إذ إننا لا نتوقع لجميع المراهقين أن يمروا بخبرة الضغوط والعواطف والأزمات. إلا أنه غالبا ما نرى أن معظم المراهقين يعانون من عدم الاستقرار الانفعالي من وقت لآخر ومن نمو سريع وتغيرات جسمية يصاحبها أعراض غير ملائمة كالتعب والكسل، وتغيرات اجتماعية ناتجة عن ضرورة التكيفات التي لا بد من حدوثها لأنماط جديدة من السلوك وتوقعات اجتماعية جديدة (الشيخ، 2006).

وضمن سياق الحديث عن أزمة الهوية لدى المراهق يعد (اريك اريكسون) الرائد الأول في دراسة الهوية، حيث أسهم إسهاما جوهريا في فهمنا للهوية عندما وضع مفهوم الهوية داخل مخطط نفس-اجتماعي نمائي لدورة حياة الإنسان، وذلك من خلال إعداد نموذجا مكونا من ثماني مراحل لنمو مراحل الأنا النفس – اجتماعي. وقد أوضح (اريكسون) أن لكل مرحلة أزمة مرتبطة بها ومهمة نمائية داخلها، واعتبر فترة المراهقة فترة في غاية الأهمية تمثل مرحلة الانتقال من اعتمادية الطفولة إلى استقلالية الراشدين الكبار، غير أن المشكلة الحرجة في هذه المرحلة هي أزمة الهوية. وهي أزمة يمر بها أغلب المراهقين في وقت ما. ويعانون فيها من عدم معرفتهم لاتهم بوضوح أو عدم معرفة المراهق لنفسه

في الوقت الحاضر أو ماذا سيكون في المستقبل فيشعر بالضياع والتبعية والجهل بما يجب أن يفعله ويؤمن به (مشعل، 2009، ص ص.2-3).

لذلك تعد أزمة الهوية لدى المراهق من الأحداث البارزة في حياته، والتي قد تساهم في ظهورها جملة من العوامل النفسية، الجسمية، الاجتماعية والأسرية هذه الأخيرة التي بما تحمله من صراعات وأزمات وضغوط نفسية قد تثقل البناء النفسي للمراهق فتزيده تأزما، ولعل آثار هذه المشكلات الأسرية قد تكون بارزة في شكل انحراف وجنوح للمراهق أو فقدان الثقة بالنفس، زيادة على عدم معرفة وإدراك الذات الذي من المفروض تدعمه الأسرة وتسانده لتكوين هويته المميزة والمتفردة. فالهوية الناضجة هي التي لديها المقدرة على تجاوز المشكلات، وتجاوز شروط الخبرة السلبية، وهي القادرة على تحقيق الانسجام مع الأنظمة المعرفية والثقافية المعطاة وتحقيق التكامل بين التجارب الجديدة والقبلية. وما الإحساس بالهوية لدى المراهق إلا مركب من مشاعر عديدة ومتنوعة، وأن أزمة الهوية تولد تحت تأثير عملية كبت وضغط أو توتر تنال جانبا أو أكثر من هذه المشاعر.

1- الدراسات السابقة:

- **دراسة عزت مرزوق فهيم عبد الحفيظ (2001):** هدفت للكشف عن أساليب التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالسلوك الانحرافي، حيث قام الباحث بإجراء دراسته على مجموعة من الأسر التي تقيم في المنطقة العشوائية أسيوط والذين لديهم متسربين من التعليم، وعليه بلغ إجمالي العينة عشر حالات تشمل أسر الأبناء المتسربين من التعليم، وكذا الأبناء الذين أودعوا بالمؤسسة مع مراعاة أن هؤلاء المودعين بالمؤسسة من مرتكبي أفعال انحرافيه متباينة من حيث الشكل أو التجريم. اتبع الباحث في هذه الدراسة منهج دراسة الحالة وفي إطار التكامل المنهجي استخدم الباحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي. واعتبارا من دلك كشفت الدراسة على أن الغالبية العظمى من سكان المناطق العشوائية تميل إلى الأساليب التقليدية في تنشئة الأبناء والمتمثلة في القسوة والحرمان والإهمال والتدليل، ويرجع ذلك لانخفاض الوعي الثقافي في تلك الأسر وزيادة حجم الأسرة مع تدني المستوى الاقتصادي وانخفاض درجة وعي الوالدين بما قد تحدثه هذه الأساليب في سلوكيات الأبناء من آثار غير سوية.(قارة، 2012)

- **دراسة جهاد علاء الدين وتغريد العلي (2014):** سعت الدراسة الحالية لاستكشاف العلاقات بين الأداء الوظيفي الأسري (التماسك، التكيف) والممارسات الوالدية والكفاءة الاجتماعية والتقارير الذاتية للمراهقين عن درجة القلق لديهم وجنس المراهقين. تألفت الدراسة من (ن=378)طالبا وطالبة في الصفوف السابع والثامن والتاسع اختيروا عشوائيا من المدارس الحكومية في محافظة الزرقاء في

الأردن. أسارت الدراسة لوجود علاقة دالة بين الممارسات الوالدية الايجابية وأداء الأسرة الصحي لوظيفتها المتعلقة بالتماسك والتكيف. كما ظهرت نتائج تحليلات الانحدار المتدرج أن عاملي (أ) الممارسات الوالدية السلبية للأم و(ب) انخفاض مستوى التماسك الأسري أسهما في التنبؤ بقديرات الطلبة للقلق، وأن عاملي (أ) الممارسات الوالدية الايجابية للأب و(ب) ارتفاع مستوى التماسك الأسري أسهما في التنبؤ بتقديرات الوالدين للكفاءة الاجتماعية. وتبين أيضا أن عامل الممارسة الوالدية الايجابية للأب كان العامل الوحيد والفريد الذي أسهم في التنبؤ بتقديرات المعلمين للكفاءة الاجتماعية لدى طلابهم، وأخيرا أظهرت النتائج عدم وجود فروق على مقاييس الدراسة تعزى لجنس المراهق باستثناء مقياس القلق. وعليه اقترحت الدراسة إمكانية استعمال هذه النتائج لتصميم الأهداف لتدخلات العلاج والإرشاد الأسري وبرامج التعليم النفسي للأسر المختلة وظيفيا وأطفالها.

- **دراسة طالحي هجيرة (2013/2012):** تمحورت هذه الدراسة على معالجة موضوع ممارسة السلطة الوالدية داخل الأسرة وانعكاساتها على التوافق النفسي الاجتماعي للمراهق، وهي دراسة ارتباطية فرقية بين المراهقين الذور والإناث المتمدرسين بالقانية ثانوي. اعتمدت الباحثة على دراسة ميدانية استخدمت خلالها عينة مكونه من (150) مراهق تم اختيار المجموعة الكلية بطريقة عشوائية من ثانوية العقيد سي الحواس بسيدي بلعباس بالغرب الجزائري، حيث تم تطبيق الدراسة على جميع التخصصات دون استثناء بما فيها الرياضي التقني، علوم تجريبية، رياضيات، تسيير واقتصاد، آداب وفلسفة، لغات أجنبية. طبقت الباحثة اختبار معدل وفقا لخصوصيات ومتطلبات البحث لقياس التوافق النفسي الاجتماعي لمقننه الدكتور محمود عطية هنا، واستبيان معد من طرف الباحثة لقياس نماذج السلطة الوالدية. وعليه توصلت نتائج هذه الدراسة إلى الآتي: توجد علاقة ارتباطية بين ممارسة الوالدين للسلطة المرنة والتوافق النفسي الاجتماعي للمراهق في الأسرة، توجد علاقة ارتباطية بين ممارسة الوالدين للسلطة المتشددة والتوافق الاجتماعي للمراهق في الأسرة، أيضا توجد علاقة ارتباطية بين ممارسة الوالدين للسلطة المهملة والتوافق النفسي الاجتماعي للمراهق في الأسرة، لا توجد فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في التوافق النفسي الاجتماعي عند أفراد المجموعة، لا توجد فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في التوافق النفسي عند أفراد المجموعة، ولا توجد فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في التوفق الاجتماعي عند أفراد المجموعة.

2. مرحلة المراهقة: مظاهرها ومتطلباتها

أجمع علماء النفس على أن المراهقة مرحلة من أهم مراحل النمو التي يمر بها الفرد، ولها تأثير بالغ في تشكيل شخصيته بعد ذلك.

1.2 تعريف المراهقة :

المراهقة حسب "فرويد" هي أزمة نشاط كبيرة للتواترت والصراعات في المرحلة الأوديبية وأكد على ذلك في قوله أن عقدة أوديب تبلغ ذروتها ما بين 3 و5 سنوات خلال المرحلة القضيبية ويسجل خمدها الدخول في مرحلة الكمون ثم تأججها من جديد في مرحلة البلوغ.

تعرف أيضا "أنا فرويد" المراهقة على أنها بمثابة فترة من الاضطراب في الاتزان النفسي، وهي تنشأ بداية من النضج الجنسي وما يتبعه من عودة النشاط اللبيدي. (طالحي، 2013، ص.89)

هي الفترة الانتقالية الانفعالية بين الطفولة والرشد والتي تتميز بعدد من التغيرات الجسمية بالإضافة إلى التغيرات الوجدانية المصاحبة لهذه التغيرات(المنسي،2001، ص:189).

إذن بشكل عام المراهقة هي مرحلة من المراحل الحساسة في حياة الفرد، وذلك لما يحدث فيها من تغيرات فيزيولوجية وجسمية سريعة، حيث يترتب عليها آثار انفعالية ويصحبها القلق والمتاعب والأزمات الاجتماعية، وفي المطلق تتحدد من سن (12سنة إلى 18سنة).

2.2أشكال المراهقة:

تشير الدراسات إلى وجود أربعة أشكال للمراهقة هي:

*المراهقة المتكيفة: المراهق المتكيف يميل إلى الهدوء النسبي، والاتزان الانفعالي وعلاقاته طيبة بالآخرين، لا أثر للتمرد على الوالدين والمدرسين ، حياته غنية بمجالات الخبرة العملية والسعي لتحقيق الذات، لا تأخذ الشكوك وموجات التردد صورة حادة عند ه، تنحو مراهقته نحو الاعتدال والإشباع المتزن وتكامل الاتجاهات ويعتمد وجود هذا النوع من المراهقة على إمكانية قيام علاقات سليمة بين الآباء و الأبناء، ويستطيع المراهقون أن يصلوا إلى النضج بسهولة عندما يضبط الآباء سلوكهم وتتخذ مواقفهم صورا تتسم بالحب والتعاطف مع الأبناء .

*المراهقة الانسحابية المنطوية: المراهق المنسحب مكتئب، ويعانى من العزلة والشعور بالذنب، ليس له مجالات خارج نفسه غير أنواع النشاط الانطوائي كالقراءة وكتابة المذكرات التي تدور حول انفعالاته ونقده للصور المحبطة ، مشغول بذاته كثير التأمل في القيم الروحية والأخلاقية ، والثورة على التربية الوالدية الضاغطة ، تنتابه الهواجس وأحلام اليقظة ومشاعر الحرمان.

*المراهقة العدوانية المتمردة: تكون اتجاهات المراهق العدواني ضد الأسرة والمدرسة وأشكال السلطة ، يسعى إلى الانتقام والاحتيال لتنفيذ مآربه، وقد يدخن ويتصنع الوقار في المشي والكلام ويخترع القصص والمغامرات أو يهرب من المدرسة يعانى من مشاعر الاضطهاد والظلم، وعدم تقدير من

يحيطون به لقدراته ومهاراته، وفي هذا الشكل تلعب التربية دورا بارزا يدفع المراهقين إلى الثورة والعدوان.

*المراهقة المنحرفة: وتأخذ صورة الانحلال الخلقي التام، والانهيار النفسي الشامل، والانغماس في ألوان من السلوك المنحرف كالإدمان على المخدرات والسرقة وتكوين العصابات والانهيار العصبي ، وقد وجد أن بعضهم سبق أن تعرض لخبرات شاذة، وصدمات مريرة، وتجاهل لرغباته وحاجاته، وتدليل زائد له، وتكاد تكون الصحبة السيئة عاملاً مهماً في هذا النوع (بركات،2000، ص:217).

وعليه تأخذ المراهقة أشكالا متعددة بحسب التنشئة الاجتماعية التي تلقاها أو البيئة الأسرية والمجتمعية التي عاش وعايشها الفرد، فكل شكل يأخذ صورا تميز البنية التي يتفرد بها الفرد والتي تطبع شخصيته.

3.2 حاجات(مطالب) المراهقة:

يجمعها (حامد عبد السلام زهران) في ستة حاجات كالتالي:

*الحاجة إلى الأمن: وتتضمن الحاجة إلى الأمن الجسمي والصحة الجسمية، والحاجة إلى الشعور بالأمن، الحاجة إلى الحماية عند الحرمان من إشباع الدوافع والحاجة إلى المساعدة في حل المشكلات الشخصية.

*الحاجة إلى حب القبول: وتتضمن الحاجة إلى التقبل الاجتماعي والحاجة إلى الأصدقاء والشعبية، الحاجة إلى الانتماء إلى الجماعات والحاجة إلى إسعاد الآخرين، وهذا من شأنه أن يجعل المراهق أكثر فعالية وإنتاجية لصالح الجماعة.

*الحاجة إلى مكانة الذات: وتتضمن الحاجة إلى الشعور بالعدالة في المعاملة والاعتراف من الآخرين، وكذا التقبل والحاجة إلى النجاح الاجتماعي والامتلاك والقيادة، الحاجة إلى إتباع قائد، والحاجة إلى المساواة بين الأفراد والزملاء.

*الحاجة إلى النمو العقلي والابتكار: وتتضمن الحاجة إلى التفكير وتوسيع قاعدة الفكر والسلوك، والتقدم الدراسي، الحاجة إلى اكتساب الخبرات الجديدة والتنوع وإشباع الذات عن طريق العمل،الحاجة إلى التعبير عن النفس والسعي وراء الإثارة، والحاجة إلى تنمية القدرات.

*الحاجة إلى تحقيق وتأكيد وتحسين الذات: وتتضمن التغلب على العواقب والحاجة إلى العمل الهادف، الحاجة إلى معارضة الآخرين ومعرفة الذات والحاجة إلى تأكيد الذات.

*الحاجة إلى الإشباع الجنسي: والتي تتضمن الحاجة إلى الاهتمام بالجنس الآخر وحبه، والحاجة إلى التخلص من التوتر والحاجة إلى التوافق الجنسي (لخضاري،2008، ص.84-85).

إذن هذه مجمل الحاجات التي تبرز في مرحلة المراهقة والتي تعتبر بمثابة المطالب الضرورية لإشباعها.

3- المراهقة ومرحلة البحث عن الهوية:

إن لمرحلة المراهقة أهميتها في حياة الآباء والأبناء على حد سواء، حيث تستوجب ألا يكون المراهقون خلالها عرضة لصراعات عنيفة تهز أساس شخصياتهم فيما بعد، وإذا ما أريد للمراهقين أن يكون نموهم سويا من الناحية الجسمية والعقلية والاجتماعية، فلا بد من أن يكون إشباع تلك الحاجات دون إفراط أو تفريط. فهذه مهمة الأسرة والتنشئة الموكلة بها التي تؤثر إيجابا وسلبا في مختلف جوانب شخصية الأبناء سواء الآنية أو المستقبلية. وإن مساعدة المراهق في تشكيل الهوية النفسية من المسؤوليات الهامة التي تقع على عاتق الأسرة وخاصة الوالدين، حيث أن الأفكار والمعتقدات والاتجاهات وأوجه النشاط التي تحكم البيئة التي نشأ فيها المراهق يتعلمها من خلال التنشئة الأسرية والتفاعلات العلائقية مع الإخوة والتواصل الايجابي (الشقران، 2016). فما هي الهوية وكيف تتشكل لدى المراهق؟

قبل التنويه إلى معنى الهوية، يمكننا الإشارة إلى (اريك اريكسون) الذي يعتبر من بين أفراد الحلقة الدراسية الأولى لمدرسة التحليل النفسي التي برزت مع (فرويد)، كما يعتبر من أشهر قادتها في النصف الثاني من القرن العشرين. ويتميز (اريكسون) عن باقي أعضاء مجموعة التحليل النفسي الحديث بأنه استطاع أن يضع آراءه بطريقة علمية في شكل تصور لتطور الشخصية من خلال ثمان أزمات أو مراحل تستمر عبر حياة الفرد من مولده إلى مماته وتتأثر بشكل كبير بالعوامل النفسية والاجتماعية معا.

حيث يعرف (ايريكسون) الهوية بأنها "الإحساس بالاستمرارية والتطابق مع الذات ومع الصورة التي يحملها الآخرون عن الشخص."

كما يعرفها (مارسيا) بأنها البناء الداخلي للذات وأنها نظام دينامي للدوافع والقدرات والمعتقدات والتاريخ الخاص بالفرد، وكلما تطور هذا البناء على نحو جيد بدا الفرد أكثر وعيا بمدى تميزه عن الآخرين ومشابهته لهم وبجوانب قوته وضعفه في شق طريقه في هذا العالم، وكلما كان البناء أقل تطورا بدا الأفراد أكثر اضطرابا بشأن اختلافهم عن الآخرين وأكثر اعتمادا (الوحيدي، 2012، ص.40).

أيضا يعرفها (جابر 1995) بأنها العملية الواعية والمتكاملة الدينامية المستمرة التي يسعى فيها الفرد إلى التوفيق بين متطلباته ومتطلبات البيئة بالشكل الذي يحقق له وللآخرين نموا ايجابيا في الذات والخبرة والوعي (جبر، د.ت، ص:475).

إذن مما سبق يمكننا القول أن الهوية هي إحساس الفرد بالتفرد على الآخر بذاته وأفكاره وقيمه التي يكتسبها في عملية التنشئة الأسرية، إضافة إلى وعيه بذاته وبالآخرين والتميز في الأدوار والمهام التي يقوم بها.

أما عن تشكل الهوية لدى الفرد، فيتشكل تكوين الهوية النفسية بشكل أساسي من خبرات الطفولة ومكونات هوية الأنا خلال مرحلة الرشد. أما بالنسبة لحالات الهوية النفسية فقد أشار (اريكسون) إلى أن الهوية النفسية حالتين هما: تحقيق الهوية واضطراب الهوية، وذلك حسب تعامل المراهق مع المواقف التي يواجهها، إلا أن (مارسيا) أضافت حالتين هما: حالة تعليق القرار وحالة انغلاق الهوية، وتقعان بين الحالتين اللتين حددهما (اريكسون).

وتعد الأسرة اللبنة الأولى والأساسية في المجتمع، كما يشير (جولمان، 2000) إلى أن الأسرة تشترك مع بعض المؤسسات الاجتماعية والثقافية، إلا أنها تبقى البيئة الأولى التي تشكل فيها شخصية الفرد، وتظهر فيها اتجاهاته وقيمه، ففي هذا المحيط يشعر الفرد بنفسه وكيف يستجيب الآخرون لمشاعره، وكيف يقرأ مشاعر الآخرين، وهذا التعلم لا يتوقف على ما يقوله ويفعله الآباء مباشرة، بل فيما يقدم للأفراد من نماذج في التعامل أيضا. وكيف يتبادلون المشاعر فيما بينهم، كما أن من أهم عوامل بناء الشخصية خلال مرحلة المراهقة الدور الذي يلعبه الوالدان في معاملة الأبناء، فطبيعة العلاقة بين الطفل وأبويه في بدء حياته تؤثر تأثيرا بالغا في نموه العقلي والانفعالي والاجتماعي وفي بناء شخصيته من جميع الجوانب.

كما تعمل الأسرة على تكوين العادات الاجتماعية، وتتيح للفرد تعود النظام بما يحقق توافقه النفسي والاجتماعي، لهذا فإن الفرد الذي يتكيف تكيفا صحيحا مع العوامل المحيطة به يكون فردا آمنا في حياته متزنا في انفعالاته وعواطفه (الشقران، 2016).

مقابل ذلك يمكننا الإشارة إلى ما يصطلح عليه بـ اضطراب الهوية، فكما سبق وأن أشرنا إلى أن تحقيق الهوية يقابله اضطراب في الهوية، ويقصد بهذه الأخيرة ضيق نفسي شديد لعدم التأكد من عدة قضايا مرتبطة بالهوية وتشمل ثلاثة أو أكثر فيما يلي: تحدي الأهداف طويلة المدى – اختيار المهنة – أنماط الصداقة – والتوجيه – السلوك الجنسي – وأنظمة القيم الأخلاقية والولاء، ويستمر

هذا الاضطراب لفترة زمنية لا تقل عن ثلاثة أشهر وينتج عنه إعاقة في الأداء الاجتماعي والوظيفي بما في ذلك الأداء الدراسي (مشعل، 2009، ص.8).

4- أزمة الهوية في مرحلة المراهقة:

يواجه المراهق في مرحلة المراهقة أزمة ذات طابع بيولوجي اجتماعي وذلك نتيجة التغير الذي يحدث في جميع جوانب الشخصية والذي يؤدي حتما إلى النضج حيث ينمو الجسم بسرعة مع البلوغ، وتطرأ عليه تغيرات هائلة تحدث قدرا من الاضطراب لدى المراهقين، فتنشأ لهم أدوار اجتماعية جديدة، فضلا عن أن صورهم عن ذواتهم كأطفال لم تعد ملائمة لمظهرهم الجديد، ومشاعر جديدة نحو الجنس الآخر، كما تنشأ مطالب وتوقعات جديدة لدى الأقران والكبار تختلف عن تلك التي كانت في الطفولة، ويؤدي ذلك إلى اضطرابهم أو ما يطلق عليه أزمة المراهقة، أو أزمة الهوية. يعني ذلك أن النضج يقابله تغيرات في التوقعات الاجتماعية التي تقع على عاتق المراهق من قبل الأسرة، المدرسة، والأقران فيما يمكن أن يقوم به من أدوار. لا يجد المراهق نفسه أمام العديد من التساؤلات التي تتعلق بهذه الأدوار وتؤدي إلى إحساسه بأزمة هوية والتي تتبلور في سؤالين هما: من أنا؟ وماذا أريد؟

حيث تعد أزمة الهوية إحدى الصعوبات النمائية التي تواجه الفرد في مرحلة المراهقة، ويعد (اريكسون) أول من تناول مفهوم أزمة الهوية عند المراهقين بوصفه نفسيا اجتماعيا في المراهقة، وحوله إلى مفهوم مركزي في علم النفس وذلك في كتابيه (الطفولة والمجتمع، الهوية: الشباب والأزمة) حيث يظهر في هذه المرحلة بعد نفسي اجتماعي طرفه ايجابي هو الإحساس بالهوية، وطرفه السلبي هو تشتت الهوية بحيث يمكن القول أن أزمة الهوية في المراهقة سمة ثنائية القطب: القطب الأول وهو تحقيق الهوية وهو المكون الايجابي لأزمة الهوية، والقطب الثاني هو تشتت الهوية وهو المكون السلبي لهذه الأزمة (الوحيدي، 2012، ص ص.55-65).

إذن أزمة الهوية كما يشير الشيخ (2006، ص.13) هي تلك الأزمة التي تولد تحت شعور تأثير عملية كبت أو ضغط أو توتر تنال الإحساس بالهوية، يحتاج المراهق إلى الشعور بهويته وكينونته وإلى التعرف على دور جنسه الخاص حاجة ملحة في مرحلة المراهقة. فهو يتأرجح بين كونه طفلا وكونه راشدا فإذا نجح في تحديد موقف وهويته الشخصية فإنه ينتقل انتقالا سليما نحو الرشد، وإذا فشل في هذه المهمة فإنه يشعر بالاغتراب، الانعزال والشعور بالوحدة وهذا يؤدي إلى أزمة الهوية .

وتظل أزمة الهوية من بين أبرز المشاكل التي تهر لدى المراهق فتعيق نموه الطبيعي النفسي والاجتماعي وحتى الدراسي.

في هذا السياق يشير الوحيدي (2012، ص.56) إلى عوامل بارزة تساهم في حدوث أزمة المراهقة نكر منها:

-عوامل تتصل بالتكوين الماضي لشخصية الفرد.

-عوامل تتصل بالحاضر: القيم والمعايير والأوضاع السائدة في مجتمعه وفي الثقافة التي يعيش فيها.

-عوامل تتصل بنظرة الفرد للمستقبل، وما يسعى لتحقيقه من أهداف.

5- المشكلات الأسرية والمراهق:

لا تخلو أي أسرة من الأسر من مشاكل أو أزمات حياتية، فقد تكون أزمات أسرية طبيعية أو نمائية، فالأزمات الطبيعية مثل الحروب..الخ أما الإنمائية في حالة الإيجاب أن يكون المستوى الاقتصادي والتعليمي جيدا، والحياة الأسرية ذات كفاءة عالية مما يجنب الأسرة التوترات إلى حد كبير.

وتعرف المشكلة الأسرية بأنها حالة الاختلاف الداخلي والخارجي التي تترتب على حاجة غير مشبعة للفرد داخل الأسرة، بحيث يترتب عليها نمط أو مجموعة أنماط سلوكية تتنافى مع أهداف المجتمع ولا تسايره، وهناك العديد من المشكلات نجد منها اجتماعية، مشكلات التدريب الأخلاقي، تعدد الزوجات، مشكلات سلوكية وانفعالية وعاطفية (محدب، 2011، ص.90).

وتقسم المشكلات والتوترات والأزمات الأسرية إلى عدة تقسيمات من زوايا مختلفة من حيث العوامل التي تسهم في حدوثها إلى: مشكلات نفسية – مشكلات اجتماعية – مشكلات اقتصادية – مشكلات صحية ..الخ (العقيدي، 2008، ص.64).

حيث تشير نتائج بعض الدراسات إلى أن مساهمة الأسرة في بعض الأحيان إلى ولوج المراهق للانحراف وهذا ما تؤكده نتائج دراسة بلمولود جمانة (2004) التي هدفت إلى التعرف على علاقة الأسرة بانحراف المراهق، كانت دراسة ميدانية بمركز إعادة التربية لولاية قسنطينة، وعليه توصلت نتائج الدراسة إلى أن المبحوثين لم يتعدى مستواهم التعليمي المستوى الإكمالي، وأنهم ينتمون إلى أسرة مثيرة الأفراد، وهم يسكنون في منازل ضيقة لا تسع كل الأفراد، وقد ينتج هذا كله انحراف المراهق لأنه لا يجد مكانا له داخل البيت ليستريح فيه، أو يمارس هواياته بسبب ضيقه وكثرة أفراده. كما أن للوالدين قليلا ما يتناقشان معا، كما أن الوالدين في شجار دائم وذلك نظرا لاختلاف الخلفية الثقافية لكل منهما، وهذا كله له تأثير سلبي على المراهق، فمشاهدة الوالدين في شجار متكرر الحدوث سواء بالكلام أو بالضرب من شأنه أن يشعر المراهق بالتوتر والقلق، مما يدفعه إلى الخروج من البيت هربا من ذلك الجو المشحون بالخلافات، وقضاء معظم وقته في الشارع أين يكتسب العادات السيئة

والسلوكات المنحرفة، وقد لا يجد من يقوم سلوكه أو يرشده نظرا للمستوى التعليمي للوالدين أو انشغالهما بتوفير متطلبات الأسرة. زيادة على ذلك فمعظم المبحوثين يرون أن علاقاتهم سيئة مع أباءهم، وهذا ما يؤثر على نفسيتهم ويشعرهم بالقلق والتوتر وعدم الراحة داخل البيت، وذلك ما يدفعه للبحث عن راحته والتخلص من شعوره ذلك وقد يجدها في السلوك المنحرف، إضافة إلى عدم مراقبة واهتمام الآباء واللامبالاة التي يتعاملون بها مع المراهق، ذلك أن الآباء لا يعتمون بالأمور الخاصة له من حيث كيفية قضائه وقت فراغه أو من يصادق ولا بدراسته، كما أنه لا يتحدثون إليه باستمرار، فالمراهق يجد نفسه دون مراقبة سواء بسبب إهمال والديه أو انشغالهما عنه، فيفعل ما يشاء دون أن يقوم سلوكه الخاطئ أو يرشد إلى السلوك السوي.

يذكر أيضا ديبرج (Dehlderg, 1998) أن الممارسات الوالدية الخاطئة والتي تقوم على القسوة والعقاب الصارم، ونقص الرقابة والإشراف على الأطفال ونقص التوافق الأسري والقصور في حل المشكلات والتفاوض مع الأطفال، يرتبط بشكل ايجابي بالسلوك العنيف والعدواني لدى الشباب. فغياب الترابط الوجداني والضغط على سلوكات الأطفال قد يدفع بهم إلى القيام بالسلوك العنيف فيما بعد مرحلة المراهقة والرشد.(طالجي، 2013، ص.43)

6- تحديات المراهق: بين هاجس المشكلات الأسرية والوقوع في أزمة الهوية

يرى علماء النفس أن الأسرة المتكاملة ليست تلك التي تكفل لأبناها الرعاية الاقتصادية والاجتماعية والصحية فحسب، بل هي الأسرة التي تهيئ لهم الجو النفسي الملائم أيضا. ومن هنا فإن مجرد وجود الابن في بيت واحد مع والديه لا يعني دائما أنه يحيا في أسرة متكاملة أو يلقى العناية الأبوية الكافية.

غير أن التقدم الحضاري والتقدم الزمني قد ألقى بظلاله على الأسرة فلم تعد كما كانت من التماسك، بل أصبح تفككها أحد الظواهر التي لا نستطيع أن نغمض أعيننا عنها، إذ أن أي خلل في البنيان الأسري لن تقع تبعاته السيئة على فرد واحد من الأسرة، بل على كل الأطراف المعنية التي تضمها مظلة العلاقات الأسرية. فيلاحظ أنه في بعض الأحيان يعترض سبيل الأسرة بعض العوائق التي تمنع نمو علاقاتها السوية، وتعطل نمو أفرادها نموا سليما، وتؤثر على الصحة النفسية لأفرادها مثل كثير من ضغوط الحياة الاقتصادية والاجتماعية والصحية والنفسية، وأساليب معاملة الوالدين الخاطئة والأفكار والمفاهيم الخاطئة عن نموذج التفاعل بين الزوجين بعضهما ببعض، وبينهما وبين الأبناء مما يؤدي إلى تحولها إلى أسرة مضطربة تعج بالمشكلات الأسرية (بن مقلة، 2013، ص ص.10-11).

فللأسرة دور هام في بلورة الشخصية (الجماعية والفردية) وفي مساعدتها على إحداث التغيير والتحويل الضروريين في الصفات الذاتية والموضوعية أثناء اجتيازها (أي الشخصية) مختلف مراحل تطورها وبشكل خاص لدى تعرضها لمواقف أو وضعيات تتطلب منها القيام بعملية التوافق مع مستجدات هذه المواقف ومن ثم إحداث التغيير المناسب كي تتجاوزها.(نصار، 1994، ص.10)

حيث يذكر (بهتان وجبالي، 2015، ص ص.150- 151) أن "أنا فرويد" ترى إمكانية المراهق القيام بعملية الحداد للعلاقات الطفلية والمرور إلى النضج العاطفي والجنسي. والمراهق النموذج هو إشكالية موجهة بواسطة التفكير غير العقلاني وعدم التحكم في الاندفاعات. لأن فريسة الانفعالات المضطربة، والصراعات مع القانون والسلطة، والأفكار الخاطئة وغير المعيارية. فمن الناحية الاكلينيكة، المراهقة مرحلة الاضطرابات في النمو، يتم إعادة تشكيلها بإقامة هوية توافق بين مفاهيم المراهقة المضطربة والمراهقة العادية. تتميز بانطواء ونكوص الأنا. أو بتظاهرات اكتئابية مرتبطة بالحداد عن العلاقة الوالدية في المرحلة السابقة. تعتبر هذه العلامات الاكلينيكية مرضية قابلة للتطور، لكن في الوقت ذاته غياب هذه الاضطرابات الاكلينيكية قد تعبر عن عدم نضج الأنا.

حيث أجرى مجموعة من الباحثين في إسبانيا دراسة لفحص تصورات المراهقين للوظيفة الأسرية المتماسكة والتكيفية، التي قيسا بمؤشرات المشاركة في ممارسة الطقوس العائلية مثل وجبات الطعام اليومية والأحداث الاسرية الخاصة أو النشاطات العائلية الأخرى، ولتحليل العلاقة بين الوظيفة الأسرية ومدى استخدام المراهقين لخدمات الصحة النفسية اختيرت عينة من المراهقين من المراجعين لأحدى عيادات الصحة النفسية، وعينة من المراهقين الأسوياء، حيث أشارت النتائج إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين مجموعتي المراهقين في معدل المشاركة في ممارسة الطقوس العائلية والمشاركة في الأنشطة والمناسبات الأسرية الأخرى. حيث ظهر أن المراهقين الأسوياء في مجموعة المقارنة أبلغوا عن وجود والمشاركة في أنشطة أسرية أكثر من مجموعة المراهقين المصابين باضطرابات نفسية كما سجلوا مستوى أعلى من الرضا عن الوظيفة الأسرية.(علاء الدين والعلي، 2014)

وفيما يلي سنحاول رصد بعض من المشكلات التي تظهر في الأسرة وتؤثر على الأبناء من أطفال ومراهقين محدثة نوع من الخلل في بناء شخصياتهم وبنائهم النفسي خاصة في مرحلة المراهقة التي تعد من أبرز وأكثر المراحل العمرية حساسية، فإذا ما توفر الجو والمناخ الأسري السليم والمتوافق فحتما سيكون المراهق متوافقا نفسيا محققا لهويته وذاتيته، أما إذا تعارض ذلك مع جو أسري مضطرب مشحون بالصراعات فسوف يؤدي ذلك إلى تهديد وضعه النفسي ودخوله في نوع من اضطراب وتشتت الهوية، وهو ما يمكن أن يكون أكثر بروزا في ما يعرف بأزمة الهوية كما سبق وأن أشرنا. فقد تكون

مشكلات مثل التفكك الأسري الذي يحمل هو الآخر مشكلات فرعية متعددة، العنف الأسري، توتر العلاقة بين الوالدين ..الخ تعتبر من أكثر المشكلات ظهورا في الأسرة وأكثر تأثيرا على شخصية المراهق والتي سنحاول حصرها في الآتي .

*التفكك الأسري :

حسب العمرو (2007، ص.8) يشير التفكك الأسري إلى فقد أحد الوالدين أو كلاهما أو الطلاق أو الهجر أو الموت أو الغياب. كما أنه حالة من التصدع تصيب الأسرة. أيضا هو فشل أحد أعضاء الأسرة في القيام بواجباتهم نحو بعضهم البعض، مما يؤدي إلى ضعف العلاقات وحدوث التوترات بين أفرادها، وهذا يؤدي إلى انفراط عقد الأسرة (المصري، 2010، ص.14).

فالأسرة تشكل القاعدة التي ينتمي إليها الفرد، إلا أن النزاع والشجار بين الزوجين يخلق جوا من عدم الاستقرار بين الزوجين بما له من انعكاس سلبي على أفراد الأسرة، حيث يمثل النزاع والشجار المتمركز بين الزوجين عاملا رئيسيا في التفكك الأسري، إذ أن حالات النزاع والخصومة التي تجري على مرأى من الأبناء (وخاصة المراهقين لأنهم أكثر وعيا من الأطفال) تترك بصماتها على شخصيتهم فنلاحظ بأنهم يهربون من جو الأسرة المضطرب المشحون بالخوف والقلق والصراع وعدم الاستقرار، إذ يحاولون البحث عن بديل هم رفاق السوء الذين يؤثرون عليهم بالعادات السيئة والسلوكات المنحرفة فيصبحون عناصر هدم بدلا من أن يكونوا عناصر بناء ومصدر سعادة لأسرتهم ومجتمعهم.

كما أن المشكلات الاجتماعية السائدة في المجتمع مثل المخذرات والكحول تلقي بظلالها القاتمة على الأسرة بأكملها، إذ يعود تأثير المدمن على الأسرة بالسلب، حيث أن نسبة التفكك الأسري في أسر المدمنين تزيد سبعة أضعافها في أسر غير المدمنين (العمرو، 2007، ص ص.15-16).

وعموما يؤدي التفكك الأسري لفقدان النسق الأسري لدوره إما عن طريق الهجر أو غياب أحد الوالدين أو كليهما بالوفاة أو لأسباب أخرى، كما يحدث التفكك الأسري بسبب النزاعات الحادة التي تؤدي إلى تمزق بناء الأدوار الاجتماعية نتيجة لفشل الأب أو الأم أو كليهما في أداء واجبات الدور بصورة ملائمة. ولعل الفئات الأكثر تضررا من التفكك الأسري الأبناء حيث ينعكس ذلك على سلوكهم فيميلوا نحو التشرد والانحراف بعد أن تعثروا في دراستهم.

وكما أثبتت الدراسات العلمية أن التفكك الأسري يؤدي إلى جنوح الأبناء وعدم توافقهم أسريا واجتماعيا ودراسيا، وأشارت دراسات أخرى إلى أن الأبناء من الأسر المفككة هم في حالة أفضل طبقا لبعض المعايير المحددة من الأبناء من الأسر التي لم تتعرض للطلاق أو الانفصال ويسودها النزاع، في حين تذهب العديد من الدراسات إلى عدم وجود نتائج حاسمة حول علاقة محددة بين هذين المتغيرين

باعتبار أن مصطلح الأسرة المفككة يشمل عدة أنماط للتفكك: تغيب أحد الزوجين، الطلاق والانفصال (العقيدي، 2008).

*العنف الأسري:

يمثل العنف الأسري داخل الأسرة وخاصة إن كان موجه نحو الأبناء أحد المشكلات المجتمعية الخطيرة نظرا لتأثيره السلبي على الفرد، فالعنف الأسري الموجه نحو الأبناء يكون لديهم ردود أفعال سلبية تنعكس على البيئة والأفراد المحيطين من مثل ممارسة العنف على الآخرين والسرقة، ارتكاب الجريمة والخروج على القوانين وتعاطي المخذرات والكحول. وقد يمتد هذا العنف إلى داخل البناء النفسي للمراهق، حيث يعاني المراهقون الذين يتعرضون للعنف الأسري للعديد من المشكلات والاضطرابات النفسية كاضطراب القلق والاكتئاب واضطراب النوم والأكل ، اضطراب النطق كالتأتأة والتلعثم بالكلام. كما أنهم يفقدون الشعور بالأمن، وقد يصابون بالعجز والإحباط والفشل في القدرة على التواصل وبناء العلاقات مع الآخرين (كاتبي، 2006، ص.70).

ففي إحدى الدراسات وجد (Jtman& Katz) أن الأبناء الذين يعيشون مع والدين يتشاجران بشكل مستمر وعلاقتهما الزوجية غير مستقرة يشعرون بالتوتر ويكونوا أقل قدرة على التعامل مع مشاعرهم وبالإضافة إلى ذلك قد تتسبب هذه الخلافات والصراعات في افتقاد احترام أبنائهم لهم وتحد من ارتباطهم بهم. وتعتقد (Brooks) أن مثل هذه التأثيرات الواسعة تحدث لأن الوالدين يصبحان أقل فاعلية عندما تكون علاقتهما الزوجية سعيدة .

كذلك فإن الجو الأسري السلبي يقود إلى مشكلات سلوكية لدى الأبناء، فالأبناء (المراهقين خاصة) يصبحون أكثر تهورا وعصيانا، ويشعرون بمستويات عالية من الضيق النفسي، فالخلافات الزوجية في مرحلة ما قبل الأسرة تترك تأثيرات طويلة المدى تستمر إلى مرحلة المراهقة، حيث يكون الأبناء أقل قدرة من غيرهم على بناء علاقات اجتماعية ايجابية مع الآخرين وأقل قدرة على ممارسة الضبط الذاتي (المصري، 2010، ص.18).

من جانب آخر يشير علماء الاجتماع إلى طبيعة الصراع الأسري فقد يكون بناءا إذا دار حول المشكلات التي تواجه الأسرة ومحاولة إيجاد حلول لها، وقد يكون هداما ومدمرا في حالة عدم وجود احترام متبادل بين أفراد الأسرة، وقد وجد (Hess and camara 1996)أن هناك ارتباط بين مستوى عدوانية الأبناء وعلاقاتهم مع آبائهم. إضافة إلى أن أساليب التنشئة الاجتماعية للأسرة تتنوع بين الأسلوب السوي الذي يعتمد على المساواة والابتكار وبين الأسلوب غير السوي الذي يعتمد على التسلط والتفرقة، وإن كانت الأساليب السوية في التنشئة الاجتماعية تنتج شخصية متزنة منتجة،

فإن الأساليب غير السوية تنتج شخصية غير متزنة غير منتجة تتجه إلى المرض وسوء الأخلاق (المصري، 2010، ص.20).

* توتر العلاقة بين الوالدين:

لعل من العوامل الهامة التي تشعر الأبناء بالطمأنينة والأمن هو السلام العائلي والهدوء الأسري، فقد يعصف النزاع والخصام الأسري بمشاعر الطفل والمراهق ويقذف في وجدانه الخوف والقلق والاضطرابات الوجدانية التي تؤثر في سلوكه، فإذا لم يكبت المراهق معاني الخوف والقلق الناشئ عن النزاع بين الأبوين فقد يلجأ إلى بديل للأسرة، وقد يتمثل البديل في رفقة سوء تدفع به إلى مهاوي الجنوح والانحراف أو إلى فقدان واضطراب هويتهم.

وضمن هذا الإطار ميز (بيرجس ولوك) بين الصراع والتوتر، حيث يريان أن الصراع بمثابة معارك تنشب في الأسر، وتنتهي عادة إلى إيجاد حل لها أو إنهائها. أما التوترات فهي صراعات يفشل الأطراف في حلها، وقد تجد أسلوبا مباشرا للتعبير وقد يكبت بتأثير قوة انفعالية متراكمة. وتمر الأسرة حال نموها بمراحل كتلك التي يمر بها الفرد فمن المحتمل أت تتعرض للأزمات، وكما يعرفها (وبستر) هي:"اللحظة الحرجة أو نقطة التحول أو الموقف الحساس والمهم" (العقيدي، 2008، ص.64).

إضافة إلى ذلك فإن توتر العلاقة بين الأبوين ومشكلاتهم عندما تستحوذ عليهم فإنها تعوقهم عن تقديم المساعدة لكل مشكلات أبنائهم، كما أن تقبل الابن للمشاجرات الأبوية يخلق أبناءا مشاغبين يشبون على الميل إلى المشاجرات مع زملائهم، كما يفقد الأبناء احترامهم للآباء المشاجرين ويفقدون الثقة في قدرتهم ويحكمون بفشلهم على مواجهة الحياة، وقد يتدخل الابن في هذه المشاجرات ويصيب بصراع داخلي لعدم قدرته على مواجهة هذا الموقف، ويتخذ القسوة أسلوبا لحياته وهذا كله يجعل الكراهية في قلب الابن لأحد أعضاء الأسرة ولجماعة الأسرة برمتها. ونتيجة أيضا لهذه التوترات يفقد الأبناء انتماءهم للأسرة، فيلجأون إلى أقرانهم إذ يجدون ما يشبع رغباتهم في الانتماء وهنا أبرز مظاهر تشتت الهوية وتأزم البحث عن الذات .

وفي دراسة غير اكلينيكية على عينة مراهقين كانت من طرف "دوفين" و"أندرسون" (Douvain 1966 ,Anderson &) حول علاقات المراهقين مع الآباء، الصداقات، والحب الأول، وتشكيل الهوية. لم يتم تسجيل انطواء الأنا أو أزمة خطير للهوية. بل وجد تطلع إلى المستقبل المركز على الجوانب المادية ورموزها. النتيجة أن الصور الوالدية تؤثر على تشكيل الهوية، والأسلوب (الديمقراطي) في التربية يشجع المراهقين للمشاركة في اتخاذ القرار، ويحفز على نضج الهوية، عكس الأسلوب (السلطوي) الذي يشجع على تكوين هوية منشطرة والأسلوب التربوي (التسامحي) الذي يشجع على تكوين الهوية المبهمة

وغير الواضحة، أضف إلى ذلك نقص الاتصال بين الأم والمراهق ووجود صراعات مع الأتراب يخلق هوية سلبية.(بهتان وجبالي، 2015، ص.151)

وقد أكدت دراسة علمية أن نسبة (80%) من مشكلات المراهقين في عالمنا العربي هي نتيجة مباشرة لمحاولة أولياء الأمور تسيير أولادهم بموجب آرائهم وعاداتهم وتقاليد مجتمعاتهم، إذ يتشكل عند الأبناء انطباع بأن آباءهم تقليديون، وغرباء عن زمانهم، أو أنهم لا يهتمون بمعرفة مشكلات أولادهم، أو أنهم غير قادرين على فهمها أو حلها. فالإقناع والحب ومحاولة التفهم، تساعد على كسب الأبوين للمراهقين، وإن الضغط والتوبيخ واستعجال الثمار والنتائج مما يباعد بينهما وبينهم، يجعل تأثيرهم بتوجيهاتهما ضعيفا.(بكار، 2010، ص.48)

إذ أن اضطراب حياة المراهق ضمن الأسرة يؤدي إلى اضطراب نموه الانفعالي والعقلي، فالمواقف الجادة التي تسود أهم جوانب حياته وأشدها حساسية وما يتبعها من مؤثرات تمتد لتشمل كل مظهر من مظاهر حياته، ويمكن أن نتوقع اضطراب حياته الدراسية، ومقدار تحصيله العلمي وعلاقته مع الآخرين (محمود، 2010، ص ص. 121-122).

في السياق نفسه تذكر علاء الدين والعلي (2014، ص.67) أن "بيلسكي (Belesky ,1984) " اقترح نموذجا للتأثيرات المتبادلة يستند إلى دراسات الإساءة للطفل يهدف إلى تحديد العوامل التي تحدد نوعية المعاملة الوالدية، ويفحص هذا النموذج العوامل التي تؤثر على المعاملة الوالدية، وبالتالي على النتائج التطورية للطفل، ويتضمن النموذج ثلاثة مجالات (أ) الموارد الشخصية النفسية للأباء، (ب) خصائص الطفل، (ج) المصادر السياقية من الإجهاد والدعم التي تتضمن العلاقات الزوجية وشبكات الدعم الاجتماعي والخبرات المهنية للآباء.

-خاتمة:

يرى الباحثون أن عملية تكوين الهوية تختلف من فرد إلى آخر ومن مجتمع إلى مجتمع ومن ثقافة إلى ثقافة، فلن تتكون هوية متماسكة إلا نتيجة تفاعل توافقي للفرد مع ماضيه وجذوره العائلية وخبرات الطفولة في شتى المجالات من جهة، وبينه وبين تطلعاته المستقبلية ضمن الفرص المتاحة له والحدود الواقعية لطموحاته الشخصية من جهة أخرى. فالبحث عن الهوية ليس هو هروبا من الطفولة ولا الغوص في أحلام مستحيلة المنال إنها عملية صحية مرنة ديناميكية يتعرض خلالها الفرد إلى نماذج سلوكية وأخلاقية مختلفة وصولا إلى التزامه في نهاية المطاف بمجموعة من القيم والمفاهيم تتكيف مع تاريخه الشخصي وتقدم له أرضية صالحة لتحركاته المستقبلية.

وفي مرحلة المراهقة غالبا المراهق يكون أمام سؤال: من أنا؟، حيث تتأثر الإجابة على هذا التساؤل بشكل كبير بالأشخاص والأحداث والمحيط الذي يعيش فيه ويتفاعل المراهق معهم، فكلما نضج كلما تغير مفهومه لذاته، وكلما زاد إدراكه لعواطفه ومشاعره كلما تأثرت هويته وتأثرت خياراته وقراراته بالنسبة لتطلعاته التعليمية أو المهنية أو الحياتية بشكل عام. مقابل ذلك قد يكون المراهق عرضة للوقوع في أزمة مراهقة وعواملها كثيرة تعتبر الأسرة إحداها، فالمناخ الأسري المضطرب والأزمات الأسرية وما شابهها قد تمثل هاجس أمام المراهق لتدخله في دائرة من التوترات تؤثر على بنائه النفسي ومفهومه لذاته...الخ لتقف كحجرة عثرة حيال تحقيق هويته وكينونته .

لذلك كان لزاما على الأسرة الحاضنة الأولى للفرد أن تكون يقظة لكل المراحل العمرية خاصة مرحلة المراهقة ووعيها بتغيرات وحساسية هذه المرحلة. مع وعي الوالدين أكثر بالقاعدة التي تقول (عش مع أبنائك لا من أجلهم) وذلك بنبذ أساليب المعاملة القائمة على الإهمال والتوبيخ وإعطاء الأوامر فقط. إضافة إلى التعامل مع المراهق بحب وتقبل ومشاركته في اهتماماته وهمومه، وتشجيعه على تكوين صداقات جيده يمكنه من خلالها إثبات ذاته، ومناقشة أفكاره حول مستقبله المهني والتعليمي وآماله وطموحاته، وتنمية قدراته على التواصل مع الجماعة، والعمل معهم.

-قائمة المراجع:

-بركات، آسيا بنت علي راجح.(2000). العلاقة بين اساليب المعاملة الوالدية والاكتئاب لدى بعض المراهقين والمراهقات المراجعين لمستشفى الصحة النفسية بالطائف، مذكرة ماجستير تخصص علم النفس النمو، جامعة أم القرى، السعودية.

- بكار، عبد الكريم.(2015). المراهق. دار السلام للنشر والتوزيع. (ط.1).

- بهتان، عبد القادر، جبالي، نور الدين. (2015). تجليات اضطرابات المراهقة. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية. (13). ص ص: 146-156.

-بن مقلة، رضا.(2013أكتوبر). التنشئة الأسرية السيئة للمراهقين ودوها في انحرافهم ودفعهم لتعاطي المخذرات. مجلة معارف. (14). ص ص:677-690.

-جبر، حسن عبيد.(د.ت). تشكل هوية الأنا وعلاقتها بالتوافق النفسي لدى طلبة الجامعة. مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية. 5(1). العراق.ص ص:473-496.

-دعد، الشيخ. (2006). الطالب وأزمة الهوية. مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس. 4(2).

-الشقران، حنان.(2016). العلاقة بين التنشئة الأسرية وتحقيق المراهق لهويته النفسية. مجلة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية). 26(5).

-قارة، ساسية (2012/2011). الأسرة والسلوك الانحرافي للمراهق. مذكرة ماجستير في تخصص علم اجتماع التربية. جامعة قسنطينة (الجزائر).

-طالحي، هجيرة (2013/2012). ممارسة السلطة الوالدية داخل الأسرة وانعكاساتها على التوافق النفسي الاجتماعي للمراهق. مذكرة ماجستير في علم النفس الأسري. جامعة وهران (الجزائر).

-علاء الدين، جهاد، العلي، تغريد (2015). الأداء الوظيفي الأسري كما يدركه المراهقون وعلاقته بالكفاءة الاجتماعية والقلق. المجلة الأردنية في العلوم التربوية. 10(1). ص ص:65-88.

-العقيدي، صالح حسين.(2008). أثر التفكك الأسري على جنوح طلاب المدارس الثانوية. مذكرة ماجيستير في العلوم الاجتماعية. جامعة نايف للعلوم الأمنية. السعودية.

-العمرو، نادية هابل عبد الله.(2007). التفكك الأسري وعلاقته بانحراف الفتيات في الأدرن. مذكرة ماجستير في الإرشاد النفسي والتربوي. جامعة مؤتة (الأردن).

-كاتبي، محمد عزت عربي.(2006). العنف الأسري الموجه نحو الأبناء وعلاقته بالوحدة النفسية. مجلة جامعة دمشق. 28(1). دمشق.

-مشعل، علا ابراهيم محمد.(2009). اضطراب الهوية وعلاقته بمتغيرات الذات وبعض سمات الشخصية عند طلاب الجامعة. مكرة ماجستير في التربية. جامعة الزقازيق. مصر.

-المصري، أسماء رضا خليل. (2010). التفكك الأسري وتأثيره على الثقة بالنفس لطلاب الجامعات. مذكرة بكالوريوس في الإحصاء. جامعة القاهرة.

-محمود، حاتم يونس.(آب 2010). الخلافات الزوجية وانعكاساتها على الأسرة. مجلة دراسات موصلية.(30). ص ص:115-155.

-محدب، رزيقة.(2011).الصراع النفسي الاجتماعي للمراهق المتمدرس وعلاقته بظهور القلق. مذكرة ماجستير في علم النفس المدرسي. جامعة تيزي وزو(الجزائر).

-الوحيدي، لبنى نرجس.(2011). الحكم الخلقي وعلاقته بأبعاد هوية الأنا لدى عينة من المراهقين المبصرين والمكفوفين في محافظات عزة. مذكرة ماجستير. جامعة الأزهر بغزة. فليسطين.

- نصار، كريستين (1994). مواقف الأسرة العربية من اضطراب الطفل. سلسلة الأقارب والطفل في المجتمع الشرقي المعاصر. (ط.1).